



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : أردوغان والإقامة الصعبة بين المعسكرين

عنوان الموضوع : أردوغان والإقامة الصعبة بين المعسكرين

تاريخ النشر : 24/07/2019

اسم الكاتب : عبدالوهاب بدرخان

الموضوع :

كان معروفاً، أن وصول منظومة صواريخ «إس 400» الروسية إلى تركيا، لن يكون حدثاً عابراً أو مشابهاً لوجود صواريخ «إس 300» في اليونان وبلغاريا وسلوفاكيا، أولاً لأن حلف الأطلسي تجاوز هذه المنظومة الأقدم، وثانياً لأن تركيا مختلفة موقعاً وفاعلية داخل الحلف، وثالثاً لأن الظروف أكثر حساسية بين «الناطو» وروسيا، ورابعاً لأن أنقرة انطلقت من دوافع بعضها ظاهر وآخر في صدد التطهير. لذلك لا يبدو الأمر مجرد إشكال «تقني» قابل للمعالجة، كما تقدمه أنقرة، بل أقرب إلى مأزق استراتيجي، بما ينطوي عليه من إرباكات للطرفين، «الناطو» و«تركيا»، ذلك أن ثمة عقيدة عسكرية - سياسية تجمع بين أعضاء التحالف الغربي، ويصعب قبول الاستثناءات والاختراقات التي يمكن أن تطرأ عليها. دقة المسألة وخطورتها، جعلتا دونالد ترامب يقتصد في التغريد في شأنها، وخلافاً للغة التحذير والتهديد التي اتبعت مع أنقرة في الشهور السابقة، عندما كانت واشنطن تأمل بأن يتخلى رجب طيب أردوغان عن صفقته مع فلاديمير بوتين، سادت حصافة تراوح بين التعبير عن «الإحباط» وبين إبراز أهمية العلاقة الأميركية - التركية وعمقها وقدمها. وكما في ملفات أخرى حمل ترامب، سلفه باراك أوباما وإدارته مسؤولية تراجع هذه العلاقة، حين رفضت بيع صواريخ «باتريوت» إلى تركيا، على غرار ما فعل بالنسبة إلى مسؤولية أوباما عن الاتفاق النووي «الكارثي» مع إيران. لم يكن ترامب منفعلاً حين أعلن أن اقتناء تركيا صواريخ «إس 400» يعني عدم حصولها على مقاتلات «إف 35» الأميركية الأكثر تطوراً، فرغم الحق والغضب لا تريد واشنطن استقزاز أنقرة بتفجير أزمة كبيرة معها، فيما هي تدبر أزمة أكثر تعقيداً مع إيران، ثم إن الدولتين منخرطتان في مفاوضات صعبة حول شمال شرقي سوريا. مثلما أن هناك أعضاء في الكونجرس يضغطون على إدارة ترامب لفرض عقوبات قاسية على تركيا، كذلك هناك دول أعضاء في «الناطو» تثير تساؤلات عن استمرار تركيا في عضويتها في الحلف. وبالنسبة إلى أنقرة، أمكنها أن تسجل حتى الآن خسارتين مؤكدتين: شراكتها في منظومة مقاتلات «إف 35»، والعضوية المؤجلة التي لم تعد واردة الآن في الاتحاد الأوروبي... هذه ليست سوى بداية، فهناك المزيد في الطريق، لأن إضافة التباعد العسكري إلى التشنج السياسي شبه الدائم في العلاقات مع دول الغرب ستعكس لاحقاً على العلاقات التجارية، حتى لو لم يبد دول «الناطو» تعجلاً في الرد على تركيا، فما استغرق عقوداً لبنائه يستلزم وقتاً لإقامة بدائل له. لكن الأميركيين والأوروبيين باتوا متيقنين بأن أردوغان ماضٍ في تغيير مقومات الموقع الاستراتيجي لتركيا، متمثلاً إلى حد كبير بالنموذج الإيراني الذي تقارب مع روسيا والصين من دون التحالف معهما، وحافظ على العداء مع أميركا رغم أكلافه الثقيلة، إلا أن نموذج أردوغان يطمح إلى التعامل مع الجميع، متجاهلاً أن العالم لا يزال على استقطاباته السابقة، حين انجذبت تركيا إلى الغرب، وكانت لها وظيفة صد «المد الشيوعي»، تماماً كوظيفة نظام الشاه. ما هو واضح في توجهات النظامين الإيراني والتركي، وهما حالياً في ذروة تقاربهما، هو هاجس الاستقلالية وبناء القدرات الذاتية. لا شك أن غموض الوظيفة الجديدة لتركيا هو ما دفع إسلامي نظامها إلى استلهاج التجربة الإيرانية، رغم ما بان من شرها وتخريبها الإقليميين، أو لعلمهم استحسوها كوسيلة للتمكين وبسط النفوذ. يجمع الباحثون في الشأن التركي، على ثلاثة أسباب دفعت أردوغان إلى محاولة التمتع بين الشرق والغرب: المحاولة الانقلابية عام 2016 التي يتهم واشنطن بالضلوع فيها مباشرة وعبر جماعة فتح الله غولن، إحجام أميركا و«الناطو» عن دعم خياراته في الأزمة السورية ثم في تداعياتها الروسية، وأخيراً في تشعباتها الكردية، وسقوط حكم جماعة «الإخوان المسلمين» في مصر وانعكاساته على مجمل «صعود» تيار الإسلام السياسي... ومع أنه يتعامل مع روسيا والولايات المتحدة في سوريا، مراوحاً بين نجاحات وإخفاقات، إلا أن أي أهداف يمكن أن يحققها على المدى القصير تبقى في إطار ما تتوافق عليه الدولتان الكبريان، وليس ما يمكن تركيا أن تفرضه من أمر واقع دائم. *نقلا عن صحيفة الاتحاد